خصائص الزهد في القرنين الأول والثاني

نلاحظ مما سبق ذكره عن الزهد ومدارسه في المدينة والبصرة والكوفة في القرنين الاول والثانى أنه يتميز بالخصائص التالية:

أولا: أنه يقوم على أساس فكرة مجانبة الدنيا من أجل الظفر بثواب الآخرة واتقاء عذاب النار، متأثرا فى ذلك بتعاليم القرآن والسنة، وبالظروف السياسية والاجتماعية السائدة فى المجتمع الاسلامى آنذاك.

ثانية: أنه زهد ذو طابع عمل، ولم يعن أصحابه بوضع القواعد النظرية له، ومن وسائله العملية العيش فى هدوء وبساطة تامة، والتقليل من المأكل والمشرب والاكثار من العبادات والنوافل والذكر، مع المبالغة في الشعور بالخطيئة والخضوع المطلق لمشيئة الله، والتوكل عليه، وهو بهذا يهدف الى غاية أخلاقية.

ثالثة: أنه كان يتخذ دافعا له الخوف من الله، وهو خوف يبعث على العمل الديني الجاد، على أنه ظهر له دافع آخر فى أواخر القرن الثاني عنـد رابعة، وهو الحب الله المنزه عن الخوف من عقاب الله والطمع في ثوابه في آن معا، وهو يعبر عن انكار الذات، وعن التجرد فى علاقة الانسان بالله.

رابعا: أن زهد بعض المتأخرين من الزهاد خصوصا في خراسان، وعند رابعة، يمكن، لما تميز به من تعمق فى التحليل أن يعتبر مرحلة تمهيدية للتصوف. وأصحابه، وان كانوا يقتربون من التصوف لا يعدون صوفية بالمعنى الحقيق للكلمة، وانما يمكن اعتبارهم روادا أوائل لمن سيجيء بعدهم من صوفية القرنين الثالث والرابع

هذا، ويعتبر نيكولسون الزهد و أقدم نوع من أنواع التصوف الاسلامى، وهو يصف الزهاد أحيانا (بالصوفية الأولين، ولكننا نرى أن مثل هذا الزهد لا ينطبق عليه من الخصائص الخمس التي ذكرناها للتصوف من قبل الا خاصية واحدة هي الترقى الخلقي. ولذلك فان من الاحق عدم اطلاق اسم الصوفية على زهاد المسلمين حتى أواخر القرن الثاني. ونؤثر أن نطلق عليهم ما أطلقته المصادر العربية القديمة عليهم من تسميات، كالزهاد والعباد والنساك والقراء وما الى ذلك.